المعاملات التجارية في الدولة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي من خلال مؤلفات القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤م)

نعمه ساهي حسن

نجاة خير الله كاظم

كلية التربية / جامعة ميسان

المقدمة : مما لا شك فيه أن العصر العباسي من أزهى العصور الإسلامية من جميع النواحي الفكرية والسياسية والاقتصادية حيث وصلت الدولة العربية الإسلامية أوج عظمتها إذ اجمع المؤرخون بأنه العصر الذهبي للدولة العربية الإسلامية وكما معروف أن الاقتصاد هو محور تطور الدول والأمم وان التجارة في ذلك العصر هي عصب ذلك الاقتصاد ، وطرق المواصلات البرية في الغالب كانت الوسيلة في التعامل التجاري ، فقد كان يتم بطرق حضارية عن طريق النقود لا عن طريق المقايضة ، لأجل ذلك قررنا البحث في تلك الحقبة عن أهمية التجارة ووسائلها عبر قراءة العديد من المؤلفات التي تناولتها بصورة مفصلة ، ومن خلال تلك القراءة لم نجد أفضل من مؤلفات القاضي أبو علي المحسن التنوخي تناولا لموضوع التجارة وطرق المواصلات في الدولة العربية الإسلامية لذلك كان عنوان البحث هو ((المعاملات التجارية في الدولة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي من خلال مؤلفات القاضي أبو علي المحسن التنوخي)).

أما عن أسباب اختياري لمؤلفات التنوخي عنوانا وموضوعا للبحث فهي كثيرة ومتعددة لعل من أبرزها .

١ – أن التنوخي قد أبدع في جمع كل وارده وشاردة وصغيرة وكبيرة عن التجارة وأهميتها وتطورها والوسائل التي تتم بواسطتها تلك التجارة .

٢ – من خلال تلك المؤلفات وجد العديد من النصوص لدى التنوخي تسلط الضوء عن طبيعة العلاقة بين التجارة وعن طريقة عملهم وعن المشاكل التي يواجهونها وعن حل تلك المشاكل.

٣– لم تقتصر مؤلفات التنوخي عن التجارة كموضوع بل يتطرق الى طرق المواصلات الداخلية والخارجية التي تسلكها تلك التجارة .

٤– تطرق التنوخي عن كيفية إتمام المعاملات التجارية من خلال النقود والصكوك وأربات الصيرفة في ذلك العصر.

أرجو من الله أن يوفقنا في هذا البحث المتواضع ليكون رافدا علميا في زيادة المعرفة لدى الباحثيين والدارسين الذين يقومون بدراسة تلك الحقبة التجارة تعد التجارة أحدى الركائز الأساسية في الفعالية الاقتصادية لما تلعبه من دور في تدعيم الجانب الاقتصادي، كونها تساهم في توفير المواد الضرورية في عملية البناء ، ولارتباطها بجوانب اقتصادية لذا أولتها الدولة العربية الإسلامية وعبر فتراتها التاريخية المختلفة اهتمامها البالغ ، وعندما نشير إلى أن موقع العراق الجغرافي كان من العوامل المهمة في تدعيم نشاطه الاقتصادي فلا بد من الإشارة إلى أن قيام الدولة العباسية وانتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد ، والتطورات الاجتماعية والعمرانية التي شهدها العراق في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، أو ازدياد متطلبات فئات المجتمع المختلفة وتنوعها ، وكان له اثر في تشجيع نشاط التجارة (١) .

وكان ايضاً لرجال الدولة الكبار أثرا كبيراً في تنشيط حركة التجارة من خلال كون الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار القادة يمثلون الفئة التي تحرك التجار لجلب البضائع من خارج العراق ، وفي ذات الوقت أن مساهمة الدولة في رفع الضرائب التي تفرض على هؤلاء التجار ، ساهم بدوره في تنشيط التجارة مع بلدان العالم الإسلامي الأخرى ، كذلك نجده في تدخل الدولة في تقديم المساعدات للتجار عندما يتعرضون لازمات توتر على رؤوس أموالهم وبضائعهم (٢).

وفي الحقيقة أن النصوص الواردة في مؤلفات التنوخي يمكن أن تعطي تصوراً عن هذا الجانب المهم في الحياة الاقتصادية عاكسة طبيعة العلاقات التي تربط أفرادا يمارسون المهنة نفسها وما يمكن أن يترتب عليها ، وعن الأسس المقبولة التي يستند عملهم بالإضافة إلى الإشارة إلى بعض سلوكيات العمل البعيدة عن المسار الطبيعي في عملهم .

وقد نشأت نتيجة لارتباط الأفراد بمهنة التجارة ، علاقات قوية ومتينة حتمت عليهم مساعدة بعضهم البعض الأخر، وحل مشاكلهم الناتجة عن العمل التجاري ، فقد أورد التنوخي تدخل بعض التجار بوساطة لحل مشكلة مالية مع احد التجار ودائنيه (٣) .

وعلى الرغم من المكانة الاجتماعية المرموقة التي حظي بها التاجر في وسط المجتمع فأن بعض التجار قد تعرضوا للطعن من قبل المجتمع نتيجة لأعمالهم غير المشروعة في الكسب ، او طريقة تنمية ثرواتهم ، أمثال الحسين بن عبد الله أبن الجصاص * الذي ذكر أن أساس ثروته هي عن سرقات (٤)

وقد اتهم بعض الأفراد بعض التجار بالتهالك على الكسب دون مراعاة فروض الدين وأمرها بصورة صحيحة فرموهم بخفة صلاتهم حتى قيل (صلاة التجار) (٥) . وعلى الرغم من ذلك فقد تمتع بعض التجارة بخصال حميدة فغالبا ما كان بعض التجار يقومون بأعمال خيرية في المجتمع ، منها التصدق ، ودفع نفقة الحج الى بعض من لا يتمكن من نفقة الحج أو تقديم معونات عينية الى أسرى الفداء في بلاد الروم (٦).

ومن الجدير بالذكر أن التنوخي قد ذكر عددا من أساليب التجار في عملية المتاجرة ومنها احتكار السلعة ، أو التجسس على أخبار التجار في البلدان التي يتاجرون فيها (٧) .

طرق المواصلات الطرق الداخلية :

هنالك عدة طرق داخلية سلكها التجار لنقل سلعهم وبضائعهم التجارية ويأتي مقدمتها الطرق النهرية المتمثلة بنهري دجلة والفرات وهما ممرين في العراق حيث يواصلان الأقسام العليا من العراق بالخليج العربي وكذلك يتصلان بالعديد من المدن والأقاليم التي تقع عليها (٨) كما أن الطرق النهرية أهمية كبيرة في انتعاش التجارة في العراق فنهر دجلة والصلاحيته للملاحة في أقسامه العليا قد استخدم لنقل الحبوب والحنطة والشعير من الموصل وبالعكس (٩) .

كما كانت حركة النقل بين بغداد و واسط والبصرة تسير بشكل اعتيادي وطبيعي وقد أشار لنا التنوخي عن شخص سرق ماله بالبصرة واستعاده بواسطة و ذلك لاستخدامه الطريق النهري الذي يربط البصرة بواسط (١٠) . ولم يكن استخدام الطرق النهرية لنقل البضائع والسلع فحسب بل تستخدم في بعض الأوقات لنقل المسافرين بين الحاضرة الخلافة بغداد والى باقي الولايات والمدن وقد أشار التنوخي في بعض نصوصه عن شخص ابتاع جارية له ثم ندم عليها فتتبعها ، وصعد المركب حتى التقى بها في داخل المركب عند سيدها حتى وصل إلى نهر المعقل بالبصرة (١١) .

التنوخي يخبرنا أن نهري دجلة والفرات كان يستخدمان للملاحة النهرية التي تنقل الأفراد ، وفي ذات الوقت كانت تنقل معهم البضائع ، ولا سيما التي تأتي من البصرة المرفأ الحيوي والمهم في العراق والذي زادت أهميته بتوسع الدولة العباسية ، كما أن انتشار طرق المواصلات أدى إلى ازدهار التجارة فكان العراق يستقبل السفن التجارية عبر دجلة والفرات (١٢) .

كذلك كان هناك دعم واهتمام للحركة النهرية من قبل الخلفاء العباسيين بعد اتخاذ بغداد مركزا للخلافة لذلك تمكنوا من حفر نهر كبير يسمى * نهر عيسى الذي يأخذ مياهه من نهر الفرات إلى دجلة (١٣) .

طرق المواصلات الخارجية : -

بالإضافة إلى الطرق النهرية سلك التجار في العراق طرق المواصلات البرية التي كانت تربط بغداد مركز الخلافة العباسية ببقية أنحاء الدولة العباسية ويمكن الإشارة إلى خمسة طرق رئيسة كان يسلكها التجار هي :-

١ - طريق شمالي يتجه نحو الموصل والجزيرة .

٢ - طريق شرقي بغداد إلى حلوان ومنها إلى خراسان المشرق الإسلامي.

٣- طريق يتجه نحو واسط والبصرة .

٤- طريق جنوبي غربي الكوفة ومنها الى الجزيرة العربية حتى اليمن .

٥ - طريق غربي يتجه إلى الرقة – سوريا – مصر – شمال أفريقا . (١٤)

وقد أبدت الدولة العربية الإسلامية اهتماماً واسعاً بهذه الطرق وركزت اهتمامها بحماية تلك الطرق محاولة منها لدرء الخطر عن القوافل التجارية التي تسلك هذه الطرق إذ كانت القوافل تتعرض لقطاع الطرق ، ويخبرنا التنوخي عن القطاع الذين كانوا يهاجمون القوافل على شكل جماعات مسلحة (١٥) . أو أحيانا يستخدمون الجواسيس الذين يرسلونهم مع القافلة للتعرف على ما تحمله من بضاعة ومن يقوم بحراستها (١٦)

إن تكرار تلك الهجمات على القوافل جعل الدولة أحيانا أن تعتمد على بعض الأشخاص من زعماء القبائل لتوفير الحماية لهذه القوافل لقاء مبلغ من المال يدفعه التجار وأحيانا تستخدم القافلة المرشدون البارزين الذين يعرفون الطرق الآمنة (١٧).

المعاملات التجارية ومنها :

١ – النقود :تكتسب النقود أهمية خاصة لحاجة الإنسان إليها فهي الصيغة التي فرضتها الضرورة بدل المقايضة وعبرت فيها عن النمو والتطور الاقتصادي في المجتمعات كافة .

وقد تمركز اختيار الإنسان منذ البدء على الذهب والفضة وذلك لسرعة المواتاة في السبك والتنكيل وثبات السمات التي تحفظها من الغش والتدليس فثمنت به الأشياء عند الأمم (١٨) .

وفي العهد الإسلامي أصبح هناك تغير جوهري على الدرهم والدينار بعد أن تغلب عليه التعديل والتحوير لتستقر في النهاية نقدا عربيا إسلاميا خالصا .

وفيما عرضاً لأنواع النقود المستخدمة يومذاك : –

أ – **الدينار** : كان الدينار شائع الاستعمال وخاصة في القرن الرابع الهجري وكان أساس التعامل وقد أشار لنا التنوخي في أكثر من موقع باستعمال الدينار في اغلب المعاملات التجارية المتمثلة بالبيع والشراء ومنها قائلا عن احد رواته وعقارك بباب الطاق وقيمته ثلاثون ألف دينار فقال بلى فقلت وضعيتك الفلانية وقيمتها كذا وكذا ، فقال بلى ، فقلت ومالك بالبصرة وقيمته مائة ألف دينار)(١٩).ويذكر في موقع أخر قائلا (ففتحه، وأخذت منه المائـة ألف دينار ، ما ضاع لي منها دينار واحد) (٢٠)

وغالبا ما كانت تتعرض العملة بما فيها الدينار إلى الغش والتزييف والتزوير عن طريق دس بعض المعادن الرخيصة والتي تكثر بها الشوائب وسكها وهي تشبه النقود المتداولة بين الناس ، وبذلك أصبح هنالك نوعان من النقود منها الجيدة وقد أشار لنا التنوخي قائلا (فوقفت على شيء مكور ، فاذا هو هميان ففتحته فاذا فيه ألف دينار صفر) (٢١) أي لخلوها من كل معدن سوى الذهب .

وفي موقع أخر وصفت بالدنانير العتق (٢٢) . أما النوع الأخر فهي الدنانير الرديئة التي تكثر فيها الشوائب والمعادن الرخيصة وقد أشار التنوخي عن احد رواته (كان رجل في الاحواز يضرب النقود ، فضرب دنانير رديئة ، ولم يعلم بها الأمير ، فأنفذها الى البصرة ليشتري بها الدواب والبريديون إذ ذاك بها ، فلم تؤخذ لشدة فسادها فردت) (٢٣) .

كما ان هناك نوعا آخر من الدنانير وهي الدنانير الرومية وقد أشار التنوخي قائلا (وكان سيف الدولة أقام الفداء ، بشاطئ الفرات في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، فانفق عله خمسمائة ألف دينار ، واخرج كل من قدر على أخراجه من اسارى المسلمين من بلد الروم ، واشتري كل أسير بثلاثة ثمانين وثلث رومية) (٢٤) . وهي الدنانير التي كان الروم يتعاملون بها على ما يبدو .

ب – **الدرهم** : كان الدرهم شائع الاستعمال الى جانب الدينار ويتعامل به الناس في جميع مجالات البيع والشراء وللدرهم أنواع عديدة منها الدراهم الصالحة وقد أشار لنا التنوخي عن احد رواته (وباعوه بينهم فرجع عليهم منه دراهم صالحة اقتسموها وانصرفوا عن الرجل فلم يعرفوا خبره) (٢٥) وفي موقع أخر ذكرت دراهم صحاحا أشار التنوخي قائلا (فنذرت أن كفاني الله سبحانه ذلك الأمر أن احمل الى صندوق هذا المشهد عشرة ألاف درهم صحاحا .(٢٦)

كذلك هناك نوع أخر من الدراهم تسمى (بالدراهم الطرية) التي لم تمسح نقشها الأيدي بكثرة الاستعمال ، فقد أشار التنوخي قائلا (فلما أصبحنا اخرج كيسين في احدهما دنانير ، وفي الأخر دراهم ، فوزن لي خمسمائة دينار من احدهما ، ثم فتح الآخر فإذا هو دراهم طرية ، فوزن لي منها خمسمائة درهم) (٢٧) وهناك ما يسمى بالدراهم الخفاف وتكون عادة خفيفة الوزن تصنع من اجل نثرها في المناسبات والأفراح ، ويخبرنا التنوخي قائلا وجلي وليس نعه غيرهن ، فشرب ، وخلط بالورد الدراهم الخفاف ونثر عليه) (٢٨) وهناك نوع أخر من الدراهم تدعى بالدراهم الكبيرة وهي عادة تكون بخلاف الدرهم الاعتيادي في وزنها وقد أشار التنوخي قائلا (وأعطى دينارا ودرهما كبيرين ، فيها عدة مثاقيل ، وانصرف) (٢٩)

٢ – **الصك** : يعد * الصك وسيلة من وسائل التعامل التجارية لدفع الأموال ، ولم يكن شيئا جديدا في الدولة العربية الإسلامية ، بل تجد أشارات الى انـه استخدم في صدر الإسلام ، اذ كانت الأرزاق والرواتب تدفع أحيانا على شكل صكوك (٣٠). وفي العصر العباسي شاع استخدام الصكوك ، وتعدى استعمالها في مؤسسات الدولة كوسيلة لدفع المال ، كما استخدم بين أفراد المجتمع الإسلامي آنذاك، وعادة ما تختم الصكوك الحكومية بخاتم الخلافة . (٣١)

وفي اغلب الأحيان عندما يهب احد الخلفاء منحا إلى المقربين كانت الصكوك تكتب في بعض المرات ، عندما قرر الخليفة هارون الرشيد أن يمنح محمد ابن إبراهيم الأمام ألف ألف درهم كتب له صكا بذلك (٣٢) .

وفي بعض الأحيان يكون هناك تردد في صرف الصك من قبل الجهبذ ويخبرنا عن احد الشعراء قائلا (صك لي بعض الملوك بصك فترددت الى الجهبذ في قبضته ، فلما طالت مرافقته كتبت اليه :

أذا كانت صلاتكم رقاعا تخطط بالأنامل والأكف

ولم تجد الرقاع علي نفعا فها خطى خذوه بألف ألف (٣٣)

وهذا التردد من قبل الجهبذ يرجع إلى أسباب منها عدم توفر المال اللازم أو حسدا للشخص المعطن له (٣٤) .

كما كان يفضل عند كتابة الصكوك وجود شهود عدول إذ يروي التنوخي قائلا (ما رأيت أعجب من أمركم ، من فيكم يطمئن أن يشتري من ابنه ، أو من أخيه ضيعة بعشرة ألاف دينار ، ولا يشهد عليه العدول ؟ فقالوا : ما فينا احد بهذه الصورة قال : فتستظهرون لأنفسكم وعقابكم في هذا القدر الكثير من المال ، وما أكثر منه ألا بالشهادة وتعتاضون بخطوطهم في جلد يساوي دانق فضة ، من ذلك المال العظيم ، حتى تأخذوا الصك ، بدلا من المال فتجعلوه تحت رؤوسكم ، لشدة حفظة ، قالوا نعم قال فمن كان هذا حكمه عندكم ، لم تطعنون فيه) (٣٥)

٣- السفتجة :-

ومن وسائل المعاملات التجارية ، * السفتجة ، فقد استخدمت بشكل محدود في العراق وخاصة في صدر الإسلام ، لكنها انتشرت وخاصة في القرن الرابع الهجري بشكل واسع وقد تعددت أغراضها (٣٦) وقد شاع استخدامها بين أفراد المجتمع فضلا عن التجار ، ولما كثرت الحاصلات التجارية وزاد النشاط التجاري وأصبح التعامل بالمبالغ الكبيرة يسبب بعض المشاكل والمخاطر لنقل الأموال من بلد الى أخر ، ولجا التجار إلى استعمال السفاتج وذلك للتخلص من الأخطار المتمثلة بقطاع الطرق وكذلك لثقل هذه المبالغ أثناء حملها .

وقد أشار التنوخي الى "ضامن" ضمن الاحواز" من كاتب السيدة أم المقتدر وأنفذ الى العامل سفتجة بألف دينار مرفقا أي رشوة أو هدية (٣٧).

كما أن بعض التجار أذا أراد السفر من مكان الى أخر لشراء بضاعة يأخذ معه سفاتج بالمبالغ إذ يروي التنوخي وخرجت أنا تحت الليل بمرقعة راكبا حمارا ومعي غلامان من غلماني وليس معي شيء من الدينار إلا سفاتج بخمسة الألف دينار) (٣٨). ولم يكن استخدام السفتجة من قبل التجار فقط ، بل كانت تستخدم من قبل عامة الناس فإذا ما توفي شخص ما ولم يكن له وريث قرب في بلده ، يكتب أمواله على شكل سفاتج الى احد أقربائه في البلد الأخر وقد أشار التنوخي قائلا (وانفد لي سفتجة بالثلثين من ذلك ،مبلغها بسبعمائة وكذا وكذا، وتحل بعد أربعين يوما ، على تاجر في * دار القطن ، بالكرخ) (٣٩).

كما كان حق صاحب السفتجة أن يصرفها دفعة واحدة أو يأخذها على شكل دفعات أو أقساط(٤٠) .كما عرفت هناك سفتجة بأجل ، وهي أن تعطي مالا لرجل ، فيعطيك خطا يمكنك من استرداد هذا المال من وكيل له في مكان أخر ، فإذا كان الخط اشترط اداء المال في وقت مؤجل ،فهي سفتجة بأجل (٤١)

٤ – الصيرفة :

لم تكن الصيرفة حديثة العهد في العصور الإسلامي بل يرجع نشوؤها إلى العهد البابلي وكانت هناك بعض الأسر تقوم بأعمال القروض والعقود التجارية والمالية والتحويل من بلد ما إلى أخر (٤٢) .

ومنذ أوائل القرن الرابع الهجري أدى توسع الأعمال التجارية في العراق الى ازدياد نشاط الصرافين ، وغدت الصيرفة تلعب دور هاما في عملية التجارة (٤٣).

كذلك تعددت أماكن الصيرفة في أكثر من مدينة إضافة الى بغداد ، وذلك في كل من البصرة والكوفة ، والكوفة لها فضل كبير على تقدم الصيرفة في العراق (٤٤).

وقد قدم الصيارفة خدمات جليلة للتجار وذلك عن طريق التسليف كما قاموا بصرف الصكوك والحوالات لقاء مبلغ محدود (٤٥)، كذلك لعبوا دور كبيرا بالتوسط بين أفراد المجتمع ودور الضرب ، وذلك عن طريق إعطاء مبالغ مقابل الذهب والفضة وذلك للاستفادة من الفرق الذي يحدث أثناء السك (٤٦).

ولم يتوقف دور الصيارفة إلى هذا الحد بل تعدى أكثر من ذلك عن طريق التعامل مع الدولة وسد العجز الحاصل في خزانة بيت المال ، وقد أشار التنوخي ألا انه عندما احتاج الوزير علي بن عيسى إلى المال استقرض من الجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران واسترجعها من أموال الاحواز خلال شهر (٤٧) ، وقد استعمل الصيارفة في بادى الأمر دورهم لجعلها أماكن للتعامل مع أفراد المجتمع وتقديم خدمات الصيرفة ثم تطورت الى أن أصبحت محلات داخل الأسواق (٤٨).

دور ضرب النقود :

عنى العباسيون عناية فائقة بإقامة دور ضرب النقود وخاصة في مركز الخلافة بغداد والمدن الكبرى الأخرى ، وتكون دور الضرب تحت إشراف الخليفة أو من ينوب عنه مباشرة وذلك لمنع الغش والتزيف (٤٩) .

وعندما تسلط البويهيون على زمام الأمور في الدولة العربية الإسلامية ، تمكنوا من مراقبة دور الضرب وفرض رقابة شديدة عليها وإنزال العقوبات بحق المخالفين ، حتى تمكنوا من تعيين قضاة يشرفون على العيار بدور الضرب ومنهم ولد القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي الذي تقلد القضاء والأشراف على دار الضرب (٥٠). كما يعين على دار الضرب شخص يدعى الضراب ، ويذكر التنوخي أن معز الدولة أمر بقتل رجل كان ضرابا يعرف بابن كردم ، ضمن منه عماله دار الضرب سوق الاحواز فضرب دنانير رديئة أو لم يعلم الأمير بها ، فأنفذها الـى البصرة ليشتري بها الدواب ، فلم تؤخذ لشدة فسادها فردت (٥١).

كذلك برز دور الدولة في عملية الإكثار أو التقليل من إصدارات والنقود وذلك لحاجة السوق إليها (٥٢) وفي بعض الأحيان كان من حق أي فرد من المجتمع أن يجلب الذهب والفضة ويأتي بها إلى دار الضرب لتضرب لـه النقود ، أي أن دور الضرب مفتوحة لجميع أفراد المجتمع ، وكانت الدولة تأخذ أجرا بسيطا (٥٣)

إلا أن ذلك الاهتمام الذي أبداها البويهيون في بداية تسلطهم على العراق بدور الضرب لم يستمر وذلك نتيجة اعتمادهم على الأرض وتقلص التعامل بالنقد في نطاق الدولة ، كما لم يتورع البويهيون عن التلاعب أحيانا وذلك بتخفيض نسبة المعدن الثمين ، وهذه قضية حساسة لان قيمة النقود ذهبية وفضية كانت ذاتية تعتمد أصلا على نسبة المعدن الثمين فيها (٥٤).

٥ – **الأسواق :**

تعد الأسواق أحدى مظاهر تقدم الحياة الاقتصادية ، كما أن استقرار السوق وثباته ينعكس على الوضع الاجتماعي ، وكذلك إن تعدد الأسواق وكثرتها دليل أخر على قوة واتساع النشاط التجاري، وشهدت أسواق العراق أنواعا مختلفة من السلع والبضائع التي تنتج محليا والمستوردة التي تصل عن طريق البر والبحر (٥٥) كما لا ننسى دور الخلفاء وبالذات العباسيين في عملية بناء الأسواق ، فعندما يفكر في بناء مدينة لا ينسى السوق ، وعلى سبيل المثال ، لما بني الخليفة المتوكل مدينة الجعفرية شمال سامراء ، جعل لكل مربعة وناحية سوقا (٥٦) .

كذلك برزت ظاهرة تخصيص الأسواق وتعددها وقد أصبح هذا الأمر ضروريا لكي تفي بمتطلبات الحياة الجديدة التي فرضتها الضرورة (٥٧) .

وقد أشارت نصوص التنوخي إلى عدة أسواق في أماكن متعددة وتعرض فيها بضائع متنوعة وبعد ذلك تتم عملية البيع والشراء (٥٨)، وقد أورد التنوخي نصا يمثل وصية تركها احد التجارة لابنه يبين فيها أهمية السوق ويحثه فيها على العمل والتي ابتدائها بقوله (فألزم السوق وكن أول من يدخلها ،وأخر من يخرج منها ، وان استطعت أن تدخلها سحرا بليل ، فافعل فانك تستفيد بذلك فوائد ، تكشفها لك الأيام) وقد مات وانفذت وصيته وعمل ولده بما أشار به وكنت ادخل السوق سحرا ، واخرج منها عشاء ، فلا اعدم أن يجيئني من يطلب كفنا ، فلا يجد أحدا قد فتح غيري ، فأحكم عليه ،ومن يبيع شيئا والسوق لم تقم ، فأبيعه له ، وأشياء من الفوائد ، ومضى على لزومي السوق سنه وكسر فصار لي بذلك جاه عند أهلها " (٥٩)

كما أنها أصبحت تزود اغلب المدن العراقية بمختلف السلع التجارية الواردة (٦٠) أليها وتستمر أسواق البصرة في عملها طيلة ساعات النهار ، ويذكر ناصر حسن قائلا وينصب السوق في البصرة في ثلاثة جهات في بداية كل يوم للتبادل التجاري في سوق خزاعة وفي الظهر في سوق عثمان ، وفي المغرب في سوق القداحين ، وفي البصرة سوق هام لبيع المواشي) . (٦١)

ومن أشهر أسواق البصرة سوق المربد ، الذي أصبح مركزا هاما للأعمال التجارية وكذلك مسرحا للفعاليات الأدبية فقد أشار التنوخي قائلا لأحد الشعراء عندما أصاب سوق المربد حريق في قي احد السنوات (هل يحسن بك وأنت شاعر البصرة ، والمربد من أجمل شوارعها ، وسوقه من أجمل أسواقها ، ولا تقول فيه شيا فقال : ما قلت ،ولكني أنشدت ارتجالا):

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا

فيا مربدين ناشدتكم على أنني منكم مجهـدا (٦٢)

كما تعد أسواق الكوفة من الأسواق المهمة في العراق لكونها تقع على الطريق الشرقي البادية الشام أي على حافة الصحراء وكانت فيها أسواق عامرة كثيرة ومن أشهر أسواقها سوق البراذين الذي تباع فيه الحيوانات من بغال وحمير وابل (٦٣).

الأوزان والمكاييل :-

لقد تنوعت الأدوات المستخدمة في عملية الأوزان والمكاييل وذلك لتنوع وكثرة الحاجات التي كانت شائعة بين فئات المجتمع العراقي ، قسم منها يستخدم لوزن المعادن الثمينة من الذهب والفضة والنحاس وبعض المواد الثميته وهو المثقال .وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ((أن الله لا يظلم مثقال ذرة)) (٦٤) وقد أشار التنوخي الى المثقال بقوله (فوزنت ما قد حصل عندي وكان أربعمائة وثمانين مثقالا) (٦٥) كما ذكر في موقع أخر لوزن الكافور قائلا فقدرت ما استعمل من الكافور كان أكثر من ألف مثقال) (٦٦) .

كذلك استخدمت وحدة أخرى لوزن الدقيق أو لسوق الحمص تسمى * المكوك ،وقد أشار التنوخي عن شيخ يبيع السويق قائلا (ولو طلب من هذا السويق اليوم في جانبي بغداد ، مكوك واحد ، ما وجد) (٦٧)

كما استخدم الرطل لوزن الزيت (٦٨) والخبز (٦٩) واللحم (٧٠) والثلج وقد أشار التنوخي عن رجل يبيع الثلج قائلا كان أصل نعمتي من ثمن خمسة الأرطال ثلجا ،وذلك انه عز الثلج في بعض السنين ببغداد وقل ، وكان عندي منه شيء بعته وبقي منه خمسة أرطال (٧١)

كذلك استخدم لوزن الزبيب واللوز وقد أشار التنوخي قائلا (وإذا كان كل يوم خذي لي ثلثي رطل زبيبا ، وثلثي رطل لوزا نيا) (٧٢).

وجاء في موقع أخر استخدام الرطل في وزن الند وقد أشار التنوخي قائلا (فتحت المنديل وإذا هناك وحدة أخرى تسمى * الاردب وهي عادة

تستخدم لوزن القمح) وقد أشار التنوخي قائلا (بعثني أبي إليه، من قرية تعرف بتلا يستقرضه عشر ارداب قمحا ، وثلاثين زوج بقر ، وكتب معي بذلك رقعة فأتت اليه ، وسلمت عليه ، ودفعت اليه الرقعة) (٧٣).

هناك بعض المصطلحات والألفاظ : التي ظهرت خلال العصر العباسي الثاني والتي استخدمت من قبل التجار أثناء تعاملهم في مجال عملهم أو انتشرت فيما بينهم وهي تعد أيضا جزء من المعاملات التجارية لأنها بدورها تنجح العمل التجاري وتخفف العبء على كاهل التجار ومنها : -

أ - **الوكيل** : وهو الشخص الذي يبيع ويشتر البضائع والذي يوكله التاجر بمكانه وله خبره ومعرفة خاصة بالبضاعة ، وبإمكان التاجر أن يعتمد على أكثر من شخص وفي أكثر من مكان ، أي يجعل له وكلاء في عدة ولايات وبوسع عمله وقد ذكر التنوخي ذلك بقوله (فانفدت إلى وكلائي في الحال فاستدعيتهم ، فجاءوا ، فقلت لهم خذوا فلانا الناقد ، وفلان الناقد ، كل ما عندهم من العين والورق الساعة (٧٤).

ب - **القبالة** : وقد تعني الضمانة أي الضامن وقد أشار التنوخي (فحفضت عنه شيئا يسيرا وأقرضته ثلاثين ألف درهم ، وكنت بها عليه قبالة ، وأشهدت فيها جماعة عدول البلد) (٧٥)

وقد تكون ضمانا للشخص المدين عندما لا يرجع المبلغ ويطالبه بأمكانه المدين ان يستدعيه للعدالة

ج - **التذكرة** : وتكون علي شكل قائمة أو سجل أو كتاب يحتوي على ما يملكه الشخص من ظاهر وباطن (٧٦) ، كما وردت في مواقع أخرى أن تعمل شيئا بجميع أملاكه كما لم يكن التثبيت والتذكرة بالأملاك فقط بل الودائع أيضا تثبت وهي تكون من الاموال والعين والجوهر الذي أودعه صاحبه أمانة عند الناس (٧٧).

د - **الحسبة:** وقد أشار التنوخي الى الحسبة والتي تعني قائمة حساب أي تعمل هناك قائمة بالمصروفات وهذه القائمة عادة ترفع للشخص المسؤول عن الحسابات ويخبرنا التنوخي (ثم رفعت اليه حسبه ، وكان يقف بنفسه على حساباته ، فرأى ما انفق على ذلك اللون في طول السنه) (٧٨) ولما أصبحت الحسبة دليلا قاطعا على

من يتجر وتسول له نفسه أن يسرق من المال احد بعض الأشخاص بتسليم حساب مبتور أي ناقص وغير منتظم وفي اغلب الأحيان يكون مزورا أي مزيفا (٧٩)

الدواوين:

لم تترك الموارد المالية بدون تنظيم ادراي فأنشئ ديوان يطلق عليه بيت المال (٨٠) وهو يعد من أهم الدواوين المالية في الدولة العربية الإسلامية إذ يتولى الأشراف على ما يرد الى بيت المال ، وما يخرج منه من النفقات والاطلاقات (٨١) ،وقد وردت أشارات لدى القاضي التنوخي لبعض الدواوين

الخاتمة:

من خلال قراءة النصوص التاريخية في مؤلفات التنوخي وجدنا الملاحظات التالية :

١ – في العصر العباسي كانت في أوج عظمتها وأرقى مراحل تطورها فيه بحق كانت بمجملها تجارة عالمية لم تقتصر عن حدود الدوله العربية الاسلامية بل كانت تتم حتى مع الدول المجاورة الغير أسلامية وان التبادل التجاري لم يتم بطريقة عشوائية بين التجار أنفسهم او عن طريق وسطاء حيث تتم .

٢ – هنالك أساليب معينه يسلكها التجار في عملية المتاجرة الأخرى منها احتكار السلعة ،والتجسس على أخبار التجار في البلدان الأخرى .

٣ – وجود العديد من الطرق يسلكها التجار منها طرق نهرية في دجلة والفرات وبرية كثيرة كثيرة . كذلك كانت هناك طرق خارجية واضحة ومعلومة.

4– كان للنقود أهمية خاصة في المعاملات التجارية وغالبا ما كانت تسك من الذهب والفضة وتحتفظ بسمات تمنع الغش وكذلك كانت توجد فيها أجزاء من الدينار والدرهم .

5 – كان للصيرفه دور هام في تطور التجارة حيث قدم الصيارفة خدمات جليلة للتجار عن طريق التسليف كما قاموا بصرف الصكوك والحولات لقاء مبلغ محدد.

٦ – لم يقتصر الصيارفة عن تسليف التجار بل تعد ذلك عندما قام الصراف بتسليف الدولة الكثير من الامول.

٧ – لقد ابرز التنوخي في مؤلفاته دور الأسواق في تقدم الحياة الاقتصادية حيث كان للتجارة أسواق مهمة وان كثرة هذه الأسواق دليل على اتساع تلك التجارة في هذا العصر

٨– هنالك العديد من المدن لعبت دورا كبيرا في تطور التجارة أبرزها بغداد والبصرة والكوفة و واسط .

المصادر:

١ – القرآن الكريم .

* إبراهيم مصطفى وآخرون .

٢ – المعجم الوسيط

* ابن الأثير . عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت ٦٣ هـ – ١٢٣٢م)

٣– الكامل في التاريخ ، (دار صادر – بيروت / ١٩٩٨٦ م) .

* الأفغاني، سعيد الأفغاني (معاصر)

٤ – أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، (بيروت / ١٩٧٤ م) .

* التنوخي ، ابو يعلي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) .

٥–الفرج بعد الشدة ، (تحقيق عبود الشالجي، دار صادر – بيروت /١٩٧٨م) .

٦ – المستجاد من فعلات الاجواد ، (تحقيق محمد كرد علي ، دمشق ١٩٤٦م) ٠ /

٧ – نشور المحاضرة وأخبار المذاكرة، (تحقيق عبود الشالجي ،دار صادر –بيروت / ١٩٧٣م) .

* الحموي ـ ياقوت . شهاب الدين أبي عبد الله (٦٢٦. ١٢٢٨) .

* الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، (٩٠٠هـ . ١٤٩٩م)

٨–معجم البلدان – بيروت – مطبعة دار العلم / ١٩٦٩ .

٩– الروض المعطار في خبر الأقطار (تحقيق أحسان عباس، الطبعة الثانية– بيروت ١٩٨٤ .

* ابن خلدون ، أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد، (ت ١٤٠٥٨٠٨م) .

١٠ – المقدمة ، بيروت ، ٠ ١٩٠٠

* ابن خلكان ، شمس الدين أبي العباس احمد ، ت ٦٨١هـ . ١٢٥٢م) .

١١ – وفيات الأيمان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. أحسان عباد، بيروت).

الخوارزمي ، أبو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف ، (ت ٤٠٧ / ١٠٣٤م). *

١٢ – مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق – القاهرة / ١٣٤٢م.

* الدمشقي ، أبو الفضل جعفر بن علي.

١٣ – الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوربجي ، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية / ١٩٧٧.

*الدوري ، عبد العزيز

١٤ – تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط١، بيروت /١٩٧٤ دار الطليعة للطباعة والنشر.

* الزبيدي ، محمد حسين

١٥ العراق في العصر البويهي ، بيروت – دار النهضة العربية ١٩٦٩م.

* غنيمة ، يوسف رزاق الله

١٦ – تجارة العراق قديماً و حديثاً ، بغداد / ١٩٢٢م.

* قدامه بن جعفر ، (ت٣١٠ هـ – ٩٢٢م) .

١٧ – الخراج وصناعة الكتابة ، (شرح الدكتور : محمد حسين الزبيدي ،بغداد دار الرشيد للطباعة / ١٩٨٦ م.

الكبيسي، حمدان عبد المجيد *

١٨ – أسواق بغداد ، طبعة الحرية – بغداد / ١٩٧٩ م.

* ماسينون ١٩ – خطط الكوفة ، (ترجمة ؛ تقي المصعبي مطبعة صيدا)

* ماتز آدم

٢٠ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط ٤ ، دار الكتاب / بيروت / ١٩٦٧م).

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ /*)١٤٤١م

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م). لسان العرب . بيروت ١٣٧٦م .

٢١ – شذور العقود ، (طبع الإسكندرية / ١٩٣١م) .

٢٢ . لسان العرب ، (بيروت / ١٣٧٦م) .

* هنتس فالتر

٢٣ – المكاييل والاوزان ، (ترجمة) : كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية – عمان/ ١٩٧٠م) .

* اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ، (ت ٢٨٤هـ /١٩٧م) .

٢٤ – تاريخ اليعقوبي ، (المكتبة المرتضية – النجف / ١٩٥٧م).

الهوامش:

١ – عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١١٩ .

٢ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١٠١/٢_١٠٢.

٣– المصدر نفسه ، ٣/٥٠ .

٤ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٢/٣١٢ .

٥ – المصدر نفسه ٣/١٣٤ .

٦ – المصدر نفسه _ ١/١٥٦/١٨٥ – ٣ / ١٣٤

٧– المصدر نفسه – ٣/٧٩ .

٨ – عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٤١ .

٩– التنوخي – الفرج بعد الشدة ٣/٤٠.

١٠ – المصدر نفسه – ١ / ص ٢٤٥ – ٢٤٦ – ٢٤٧،٣١٨ – ٣١٩.

١١ – التنوخي – الفرج بعد الشدة ٤/٣٢٣،٣١٨.

١٢ – آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٣٩٤.

١٣ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٣ / ٧٩ .

١٤ – عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراقي الاقتصادي ، ص ١٤٢ .

١٥– التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ٤ / ١٤٠ – ١٤٢ .

١٦ – المصدر نفسه ، ٤ / ٢٦٤،٢٦٥

١٧ – المصدر نفسه ، ٤/٢٦٠_٢٦١.

١٨ – الدمشقي ، الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٢٢.

١٩ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١/ ٢٤ ٠

٢٠ – التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ٢/١١٣ ، وينظر أيضاً المصدر نفسه .٤/٣١٧ ،

٢١ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٢/٤٥.

٢٢ – المصدر نفسه ، ٤/١٨١.

٢٣ – المصدر نفسه ، ١/١٤٢.

٢٤ – المصدر نفسه ، ١/٢٨١.

٢٥ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١/١٧٩

٢٦ – المصدر نفسه ، ٥/٣٧ ، ٣/٢١٨، ١/٤٠.

٢٧ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٢/١٩٤.

٢٨ – المصدر نفسه ، ٣/٢٧٦_١/٣٠٤.

٢٩ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٤ / ٩١.

٣٠ – اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ١/٢٢.

٣١ – ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ٢/١٧٥ – ١٧٦.

٣٢ – التنوخي ، المستجاد من فعلات الاجواد ، ص ١٣٧، الفرج بعد الشدة ٣/٢٩٦ .

٣٣ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٥ / ٢١٨ .

٣٤ – حمدان الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص ٢٦٠.

٣٥ – التنوخي نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ٣/٢٥٣.

٣٦ – محمد حسين الزبيدي : العراق في العصر البويهي ، ص ٢٢٤.

٣٧ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١/٢١٣.

٣٨ – المصدر نفسه ، ١/٢١٥؛ وينظر أيضاً الفرج بعد الشدة ،٤/٨٥٨٤.

* دار القطن : محلة كانت ببغداد في نهر طابق بالجانب الغربي ، بين الكرخ ونهر عيسى . ينظر ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢/٥٢٣.

٣٩ – التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ٣/٢٧٠.

٤٠– المصدر نفسه ، ٢/٢٤٤.

٤١ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٨/٢٢٢.

٤٢ – يوسف غنيمه : تجارة العراق ، ص ١٩_٢١ .

٤٣–محمد حسين الزبيدي : العراق في العصر البويهي ، ص ٢١٩ .

٤٤ – ما سينون : خطط الكوفة ، ص ٢٣.

٤٥ –التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٢/ ١٩٣ .

٤٦ –عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٥ .

٤٧ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٤١١٨.

٤٨ – المصدر نفسه ،٢/١٩٣، ١٩٤، وينظر أيضاً الفرج بعد الشدة .٤/٣٥٠،

٤٩– المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٨ .

٥٠– التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١/٣٢ .

٥١ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١/١٤٢ و ينظر أيضا الفرج بعد الشدة ، ١/١٠٧.

٥٢ – الكبيسي ، حمدان ، أسواق بغداد ،ص٢٦٣ .

٥٣ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان – ١/٦٣٢.

٥٤– ص ٩٢. عبد العزيز الدوري : ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ،

٥٥– الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ١١٧ .

٥٦ – عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٣٣.

٥٧ –حمدان الكبيسي : أسواق بغداد ، ص ١٦٧.

٥٨ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٢/٣٤٩، الفرج بعد الشدة ، ٤/٣٤٧٣٤٦.

٥٩ – التنوخي ، المصدر نفسه ،٤/١٧٨ .

٦٠ – سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ٣٩٩.

٦١ – عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣٦ .

٦٢ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٧/١١٦ وينظر أيضا، المستجاد من فعلات الاجواد ، ص ٢٤٦ .

٦٣ – ماسينون ، خطط الكوفة ، ص ٢٢.

٦٤ – سورة النساء ، آية ٤٠.

٦٥ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٣/٨٤.

٦٦ – المصدر نفسه ، ١/ ٢٩٧ .

* المكو ك ، وحدة وزن تعادل أمناء ونصف ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤٤

٦٧ – التنوخي ، نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٥ / ١٧٦ .

٦٨ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٢/١٢٧ .

٦٩ – المصدر نفسه ، ٢/١٦٦ .

٧٠ – المصدر نفسه ، ١/٢٠٦ .

٧١ – المصدر نفسه ، ١/١٢٥

٧٢ – المصدر نفسه ، ٢/٣٥١

* الاردب : مكيال مصري لوزن القمح يتألف من ست وبيان كل ويديه ثمانيه اقداح كبيرة او سته عشر قدحا صغيرا – ينظر هنتس والاوزان الاسلامية ، ص ٥٨ . المكاييل

٧٣ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ٦/٢٠٦ .

٧٤ – المصدر نفسه ، ٣/ ٨١ .

٧٥ – التنوخي : نشوار المحاضرات وأخبار المذاكرة ، ١/ ٢١٨

٧٦ – المصدر نفسه ، ١/ ١٣٥ .

٧٧ المصدر نفسه ، ١/ ٣٤٨ .

٧٨ – المصدر نفسه ، ٣/ ١٩٢ .

٧٩ – المصدر نفسه ، ٨/ ٣٩ – ٤٠ .

٨٠ – المصدر نفسه ،٨ / ١٧

٨١ – قدامه بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٧٧ .